اللحن في التلاوة وأثره في عدم تدبر القرآن الكريم [1]

عدنان الحموي العُلَبِي [2]

الملخّص

يهدف البحث إلى بيان آثار الالتزام بأحكام التلاوة في تحقيق التدبر والفهم لمعاني القرآن الكريم. وتكمن مشكلة البحث في وجود ظاهرة انفصام واضح بين تحقق مهارة ضبط الألفاظ، وخاصيَّة التدبر للمعاني، والإشكالية الحاضرة هي الأثر السلبي للَّحن وعدم ضبط أحكام التلاوة على تدبُّر القرآن والوعي به، وهذا ناتج عن غياب هدف التلاوة لدى بعض القرَّاء، ممن يركِّز جهده على ضبط الأحكام بعناية، ويحرص على الأداء تماماً كما تلقّاه، مقارنةً بمن يسعى جهده للتأمل والتفكر وتدبُّر المعاني، والتركيز على استنباط الهدايات. وتبرز أهمية البحث في بيان صلته بكتاب الله تعالى، والتأكيد على كيفية تلقِّيه، وآلية تلقينه، مما يبرهن على إعجازه، ويؤكد على كفالة حفظه، فلا اجتهاد في القراءة، وإنما هي سُنَّة متَّبعة، يأخذها اللاحق عن السابق، بإجازة متصلة بإسناد متواتر، مما يُشعِر بعظمة القرآن لدى قارئه وسامعه في مجالس التلاوة المباركة، والتي تفيض بمعانٍ روحية سامية، فتتحصل الفُرَص المباركة لتدبر معاني كلمات الله بخشية وخشوع، وهذا المُخرَج من أهم مقاصد التلاوة. وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي في تتبُّع وحصر أهم أحكام التلاوة، مما له صلة وأثر بالتدبر والفهم، بُغية البحث والتحليل. وتتجلى أهم نتائج البحث في أنَّ تدبُّر القرآن الكريم هو غاية تلاوته المباركة، وسبيلٌ للخشوع فيها، وأن ضبط أحكام التلاوة من الوسائل والطرق المثلى التي تعين على التدبر، إضافة إلى أن إحياء الإجازة في التلاوة يحقق إعجاز القرآن في حفظه، ويحدُّ من العبَثِيَّة في تعليمٍ وإقراءٍ غير منضبط.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، أحكام التلاوة، اللحن، التدبر.

---

[1] هذا البحث ممول من قبل جامعة قطر– منحة دعم الأبحاث الداخلية التكاملية 2020 – المنح الداخلية لجامعة قطر. هذا وتعتبر نتائج البحث مسؤولية الباحث الرئيس بشكل أساسي.

[2] أستاذ التفسير وعلوم القرآن _ قسم القرآن والسنة _كلية الشريعة والدراسات الإسلامية _ جامعة قطر.. <a.alolabi@qu.edu.qa>

The mistakes in the recitation, and its consequences to contemplate the Noble Qur'an

Adnan Al-Hamwi Al-Olabi

Abstract

The research aims to show the effects of adherence to the rules of recitation in achieving reflection and understanding of the meanings of the Noble Qur'an. The research problem lies in the presence of phenomenon of a clear disconnection between the achievement of the skill in commanding words, and the reflection of the meanings, and the present problem is the negative effect of lack of commanding words in recitation on the reflection and awareness of the Qur'an, such is a result in the absence of the goal of recitation by some reciters, who focuses their efforts on mastering the rules of recitation, he is keen on performing exactly as he received it, compared to those who strive to meditate and reflect on the meanings, and focus on devising its gems. The importance of the research is highlighted in a showing its link to the Book of God Almighty, and the emphasis on how it is received, and the mechanism of indoctrination, that proves its miracle, and emphasizes the guarantee of its preservation, the recitation process is a followed structure, which the successor takes from the previous, through a connected narration, which he feels With the greatness of the Qur'an among its reader and listener in the blessed recitation sessions, which overflow with sublime spiritual meanings, as blessed opportunities are obtained to reflect on the meanings of God's words with fear and reverence, and this output is one of the most important purposes of recitation. The research adopted the inductive and analytical method, deductive in tracking and limiting the most important rules of recitation, which has a link and effect of reflection and understanding to be researched and analyzed. One of the most important results is that reflection of the noble Qur'an is the goal of its recitation, and it can only be achieved by mastering its rulings fundamentally duly and narration. The contemplating of Qur'an is a source of reverence, and diligence in recitation is a cause for avoiding any mistakes. The fact of having an authenticated recitation certificate achieves the miracle of preserving the Qur'an from any changes, and limits uncontrolled teaching of the proper recitation.

Key words: The Noble Qur'an, Roules of recitation, wrong recitation, reflection.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن الكريم رحمة للعالمين، بلسان عربي مبين، وجعله مصدِّقاً وحُكْماً غيرَ ذي عِوج، وفصَّل آياته وحياً يهدي للتي هي أقوم، وينذر الذين ظلموا، وبشرى للمؤمنين، والصلاة والسلام على النبي الأمي العربي أمين وحي الأرض، تلقَّى القرآن من لدن حكيم عليم، وحياً بواسطة الروح الأمين وحي السماء، فبلَّغ ﷺ الأمانة، وأدَّى الرسالة، فجزاه الله عنَّا وعن الأمة الإسلامية خير ما جزى نبيَّاً عن أمته، وبعد:

أولاً: التعريف بالموضوع، وأسباب اختياره: لا يغيب عن عاقل أثر عناية المسلمين قديماً وحديثاً بأحكام تلاوة القرآن الكريم، وكتابتهم فيها بصورة ضابطة ناضجة، كما كتبوا في تدبر القرآن، واعتنوا به بصورة تتنامى وترقى يوماً بعد يوم. والزاوية المفقودة والإشكالية الحاضرة هي أثر اللحن وعدم ضبط أحكام التلاوة المنعكس سلباً على تدبر القرآن والوعي به؛ لذا آثرت الدخول من هذه الزاوية الكريمة؛ خدمة للقرآن، وتشرُّفاً بأن يكون البحث والدراسة سبباً في ربط ضبط أحكام التلاوة بتدبر آيات القرآن المتلوَّة.

وقد اعتنى العلماء والقرَّاء بخدمة كتاب الله تعالى تلاوةً وإقراءً، حفظاً وتحفيظاً، وتنامى تواتر الإجازات بالإسناد المتصل في التلاوة والتجويد والترتيل في شتى بقاع الأرض، مما يؤشر على دلالة إعجاز القرآن الكريم معجزة خالدة باقية إلى قيام الساعة، إلا أن هذا الإعجاز لا يحقق هدفه المنشود إلا إذا اقترن حفظه بالفهم، وأداؤه بالتدبر، وهذا ما ينبغي أن ينبَّه عليه، ويشار إليه، فالسلف الصالح وفي مقدمتهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا قرآناً يمشي على الأرض فهماً ووعياً، وما ذاك إلا لبلوغهم رتبة التدبر والإدراك لمضامين هذا الكتاب العظيم، فكانوا لا يتجاوزون الخمس أو العشر آيات إلا حفظوها بضبط وإتقان، وفهموها بوعي وإدراك، وتدبَّروها بيقين وإيمان، وطبَّقوها منهجاً وسلوكاً، ولا شك أن هذا كله إنما تجلَّى في وجودهم وحياتهم من خلال المدارسة والقراءة والإقراء والعناية بكتاب الله تعالى، فهو دستور الأمة ومنهجها الرشيد، الذي ما إن اعتصمت به لن تضلَّ بعده أبداً، ولن يصلح حال الأمة في واقعها الحاضر إلا بما صلح به حال سلفها الصالح، حين أعطوا القرآن حقه، وأقاموه في وجودهم وحياتهم، وتأدَّبوا وأدَّبوا الأجيال على التزام أحكام تلاوته، وضبطوا قواعد تجويده، فبه عاشوا واعتزوا، وبه

سعدوا وأسعدوا البشرية، وبه فتحوا الدنيا وقدَّموا للعالم نماذج من دعاة مخلصين، حملوا راية القرآن تلاوةً وعملاً، وتطبيقاً وتدبراً، وحفظاً وفهماً. ويسعى الباحث لاستخلاص هذه المعاني من خلال استعراض أهم أحكام تلاوة القرآن، وبيان مدى التزامها في تحقيق مقاصد التدبر والفهم لكتاب الله تعالى.

ثانياً: إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث في وجود ظاهرة انفصام واضح بين تحقق مهارة ضبط الألفاظ، وخاصيَّة التدبر للمعاني، وهذا ناتج عن غياب هدف التلاوة لدى شريحة كبيرة من القراء، ممن يركّز جهده على ضبط الأحكام بدقة وعناية، والحرص على الأداء تماماً كما تمَّ تلقِّيه من الأشياخ، مقارنةً بمن يسعى جهده للتأمل والتفكر والتعمق والتدبر في المعاني، والتركيز على استنباط الهدايات، ومما لا يخفى ظهور هذه الإشكالية على الساحة العلمية والعملية بين أهل القرآن؛ من علماء يستنبطون ويرصدون استخلاص المعنى، أو قرَّاء يضبطون ويتقنون لفظ المبنى. من هنا يسعى الباحث لطرح أسئلة عديدة حول محاور بحثه، محاولاً في ثنايا دراسته وعرضه الإجابة عليها، وهي:

- ما آثار اللحن في الوقف والابتداء على هجر تدبر القرآن الكريم؟
- ما آثار اللحن في المدود على هجر تدبر القرآن الكريم؟
- ما آثار اللحن في مراتب التلاوة على هجر تدبر القرآن الكريم؟
- ما أهمية تلقِّي التلاوة بالإجازة والسند في تحقيق آثارها المرجوة؟

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان آثار الالتزام بأحكام التلاوة في تحقيق التدبر والفهم لآيات القرآن الكريم وسوره، والتي جاء القرآن الكريم يدعو للتدبر والتفكر فيما يُتلى، من خلال قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص: 29). ويتجلى ذلك في استعراض الأهداف المحددة الآتية:

- بيان آثار اللحن في الوقف والابتداء على هجر تدبر القرآن الكريم؟
- إبراز آثار اللحن في المدود على هجر تدبر القرآن الكريم؟

- استنباط آثار اللحن في مراتب التلاوة على هجر تدبر القرآن الكريم؟
- بيان أهمية تلقِّي التلاوة بالإجازة والسند في تحقيق آثارها المرجوة.

رابعاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في صلته بكتاب الله تعالى، والتأكيد على أن القرآن الكريم بلسانه العربي الذي أنزل فيه، وبكيفية نزوله وتلقِّيه، وطريقة تلقينه وتبليغه، إنما يبرهن على إعجازه وقدسيّته، ويؤكد على تحقيق وعد الله تعالى وكفالته بحفظه، فلا اجتهاد في القراءة، وإنما هي سُنَّة متَّبعة، يأخذها اللاحق عن السابق، بإجازة متصلة بإسناد متواتر، مما يُشعِر بعظمة هذا الكلام لدى قارئه وسامعه في مجالس تدارس التلاوة المباركة، والتي تفيض بمعانٍ روحية سامية، وفتوحات ربانية عالية، تتجلَّى على الحاضرين حين يتم الالتزام بأحكام وآداب هذه التلاوة، فتؤول مجالس التلاوة إلى أجواء ملائكية، تتنزل فيها سحائب الرحمات، وتغشاها الملائكة تحفُّها بالسكينة من أطرافها، فَتُهَيَّأُ لتنزُّل التجلِّيات الإلهية على الحاضرين، لتتحصَّل الفُرَص المباركة لتدبر معاني كلمات الله وآياته، بخشية وخشوع واستحضار قلب، وفتح وفيض، وهذا المُخرَج من أهم مقاصد تلاوة القرآن الكريم.

خامساً: منهج البحث:

ينهج الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي في تتبُّع أهم هذه الأحكام المباركة، مما له صلة وأثر بالتدبر والفهم، وذلك بذكرها وحصرها، معتمداً في ذلك على ما كتب في القراءات وتوجيهها، وأحكام التلاوة والتجويد، وعلوم القرآن والتفسير، إضافة إلى ما يلاحظ في الميدان من خلال تقرير وتدريس أحكام التلاوة، وما يُعايَش من مواقف عملية، ووقائع ذات بال في القراءة والإقراء، تستحق البحث والتعليق؛ تنبيهاً، وتذكيراً، وتعليماً.

سادساً: الدراسات السابقة:

لدى البحث والتحرِّي حول الموضوع وقفت على عدد غفير من كتب التراث، والأبحاث العلمية المنشورة في موضوع البحث العام لأحكام التلاوة والتدبر، إلا أنها تناولت جوانب محددة منه، لشمول موضوعه، أما فيما يتعلق بموضع البحث ومادته في إشكالية اللحن في أحكام التلاوة وآثارها في عدم تدبر القرآن الكريم، فلا أخال أحداً تطرَّق إليه بتفصيلاته المحددة، وإن كان يعتمد على كثير من المراجع والمصادر

المبثوثة نهاية البحث، وأشير هنا إلى عدد محدود من هذه الأبحاث والدراسات السابقة، والتي تناولت بعض جوانب ذات بال وصلة بمادة البحث وموضوعه، وقد تناولت هذه الدراسات جوانب محددة من الموضوع، وجاء البحث يستكمل مادته العلمية ضمن خطته المحددة. وأهمها:

1. **مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم**، منظور بن محمد بن محمد رمضان، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة، المجلد 18، العدد الثلاثون، 1425هـ. وقد غلب عليه الطابع التربوي والدعوي، والاستفاضة في تعريف المصطلحات ذات الصلة، وخلا من الحديث عن الإجازة.

2. **تدبر القرآن الكريم (مفهومه، أساليبه، أسبابه، آثاره)**، للدكتور فهد بن مبارك بن عبد الله الوهيبي، مجلة الدراسات القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الثامن 1432هـ، 2011م. وقد استعرض أساليب القرآن في الدعوة للتدبر، والأسباب المعينة عليه، وثمراته، بينما تناول بحثي جوانب أخرى تتعلق بمنهج التلاوة، وآلية التطبيق.

3. **علم التجويد وأثره في تقويم اللسان وتصحيح النطق**، للدكتور أحمد محمد القضاة، مجلة الزرقاء للبحوث، عمادة البحث العلمي في جامعة الزرقاء الأردنية، ومنشور في مؤسسة رأس الخيمة للقرآن الكريم وعلومه، 1421هـ، 2000م. وقد أفاض في تعريف التجويد، واستعرض مراتب التلاوة وأسس علم التجويد (المخارج والصفات)، وصلته بعلم القراءات، بينما جاء بحثي يستكمل مالم يذكر هنا من إشكاليات في التطبيق.

4. **المنهج النبوي في تدبر القرآن الكريم**، للأستاذ الدكتور صالح يحيى صواب، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، ووزارة الشؤون الإسلامية في الدوحة، قطر، 1434هـ، 2013م. وقد تناول أهمية التدبر والمنهج النبوي فيه، والأسباب المعينة عليه، واستكمل بحثي جوانب أخرى.

5. **تدبر القرآن الكريم (مفهومه، وأهميته، ووسائله، وثماره)** للدكتور عبد الواسع محمد غالب الغشمي، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم،

ووزارة الشؤون الإسلامية في الدوحة، قطر، 1434هـ، 2013م. وقد استعرض البحث مفهوم التدبر ومقاصده والوسائل المعينة عليه وثماره، ويتقاطع تكراراً في مضمونه مع أبحاث عديدة، إلا أن محاور بحثي قد تناولت مسارات محددة أخرى.

6. **تدبر القرآن الكريم حقيقته وأهميته في إصلاح الفرد والمجتمع**، للأستاذ الدكتور عبد القادر سليماني، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، ووزارة الشؤون الإسلامية في الدوحة، قطر، 1434هـ، 2013م. ويتناول معنى التدبر وحقيقته وأهميته في إصلاح الفرد والمجتمع حصراً.

7. **مفهوم التدبر في القرآن (مفهوم التدبر تحرير وتأصيل)**، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم بمركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، 2009م. وقد توسَّع في تحرير مفهوم التدبر وتأصيله، واستعرض شواهد قرآنية عليه، واستعرض مستويات التدبر المرتبطة بإدراك المعاني القرآنية، وقارن به الاستنباط والفهم والتفسير، بينما يستعرض بحثي جوانب أخرى مكملة لمادة التدبر.

8. **التعامل مع القرآن بمهارتَي الحفظ والتدبر**، للدكتور رضوان جمال الأطرش، ونذرة بنت أحمد، بحث محكم في مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور، ماليزيا، المجلد الحادي والعشرون، العدد الحادي والأربعون، 1439هـ، 2017م. وقد تناول البحث منهج الصحابة في التعامل مع القرآن من حيث الحفظ مع التطبيق، والتدبر والاستنباط، وأهم الوسائل الحديثة المعينة للحافظ على التدبر، بينما تناول بحثي جوانب ذات بال تتعلق بإشكالية اللحن في التلاوة المؤدية لعدم التدبُّر.

المبحث الأول: آثار اللحن في الوقف والابتداء على هجر تدبر القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف أحكام الوقف والابتداء وأهميتهما

يُعَرَّفُ **الوقف** بأنه قطع الصوت عن الكلمة زمناً يُتنفَّس فيه عادةً، مع نيّة استئناف القراءة. ويُميَّز عن السكت؛ الذي هو قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف عادةً، من غير تنفُّس، والمشافهة تحكم زمن

السكت[3]. أما **الابتداء** فهو استئناف القراءة بعد الوقف، أو الشروع في بدء القراءة، وهو نوعان؛ نوع جائز في ابتداء القراءة، وهو بدء حسن، بكلام مستقل، في معنى تام أراده الله تعالى. ومثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2)، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ (الفلق: 1). ونوع غير جائز في ابتداء القراءة، وهو بدء قبيح، بكلام يفسد المعنى، ويغيّره إلى غير ما أراد الله تعالى. ومثال ذلك: أن يبدأ بقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ (المائدة: 64)، أو أن يبدأ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ (آل عمران: 181)[4].

ومما ينبغي على القارئ اتقانه ومعرفته تعلُّم أحكام الوقف والابتداء، وهذا ما كان السلف الصالح، وفي مقدمتهم الصحابة ﷺ يضبطونه، فكانوا يتعلَّمون التمام، كما يتعلَّمون القرآن، وقد أشار إلى هذا المعنى أبو جعفر النحاس، مبيّناً أهمية معرفة أحكام الوقف والابتداء، للوقوف على المعاني وتدبُّرها، إذ قال: "فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن أن يتفهَّم ما يقرأه، ويُشغل قلبه به، ويتفقد القطع والائتناف، ويحرص على أن يُفهم المستمعين في الصلاة وغيرها، وأن يكون وقفه عند كلام مستغنٍ، أو شبيه، وأن يكون ابتداؤه حسناً. ولا يقف على مثل: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، لأن الواقف هاهنا قد أشرك بين الذين يستجيبون والموتى، والموتى لا يسمعون ولا يستجيبون، وإنما أخبر عنهم أنهم يُبعثون، كما في تمام قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ (الأنعام: 36)[5].

والأصل في القراءة القطع عند رأس كل آية، لحديث أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته آية آية: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2) ثم يقف، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 3) ثم يقف». قال ابن أبي مليكة: «وكانت أم سلمة تقرؤها: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾

---

[3] ينظر: محيسن، د محمد سالم، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**. ج1، ص111.

[4] ينظر: أبو الوفا، علي الله بن علي، **القول السديد في علم التجويد**. ص209.

[5] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، **القطع والائتناف**، تحقيق: د عبد الرحمن المطرودي. ص21.

(الفاتحة: 4)»[6]. وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل، وميكائيل، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، قال: اقرأه على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة»[7]. قال ابن الطحان: "قال علماؤنا: فهذا تعليم التمام من رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، إذ ظاهره أن يُقطع على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب، ويفصلها مما بعدها إن كان بعدها ذكر الجنة أو الثواب، وبالضدِّ ذلك لازم أيضاً، يقطع القارئ على قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: 81)، ولا يصله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ويقطع على ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (البقرة: 82)، فإنْ فعلَ جعلَ الفريقين في جهة واحدة. ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ (غافر: 6، 7). فيقطع، أي: يقف على نهاية الآية السادسة، ويقطع ولا يصلها ببداية السابعة خشية اختلال المعنى، وإنما يبدأ بها مستقلة عما قبلها، ويبتدئ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (غافر: 7)، هذان مثالان يقاس عليهما ما كان بمعناهما، وما يخشى فيه صرف جملتين إلى معنى إحداهما، أو قطع جملة عن حقها فيما بعدها، كما قال ميمون بن مهران: إني لأقشعِرُّ من قراءة أقوام، يرى أحدهم فيما عليه ألا يُقَصِّر عن العَشْر، إنما كانت القرَّاء تقرأ القصص، إن طالت أو قصُرَت،

---

[6] أخرجه الحاكم في المستدرك، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة ﷺ. الحاكم، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**. ج2، ص252، رقم الحديث: 2910، وأخرجه الترمذي في أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ، باب في فاتحة الكتاب، رقم الحديث: 2927، وقال: هذا حديث غريب، وبه يقرأ أبو عبيد ويختاره. هكذا روى يحيى بن سعيد الأموي، وغيره عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة، وليس إسناده بمتصل، لأن الليث بن سعد روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم سلمة. وحديث الليث أصح، وليس في حديث الليث: وكان يقرأ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، يعني بغير ألف. الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي، الجامع الكبير للإمام الترمذي**. ج5، ص47.

[7] صحيح لغيره. ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، **الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد بن حنبل**. ج34، ص70، رقم الحديث: 22425.

يقرأ أحدهم اليوم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: 11)، قال: ويقوم في الركعة الثانية يقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ (البقرة: 12)"[8].

وينقسم الوقف إلى أربعة أقسام: **وقف إجباري**، وهو ما كان له سبب يبرره؛ **كالوقف الاختباري**: (لمعرفة الشيخ كيفية وقف الطالب على مفردة ما اضطراراً)، **ووقف انتظاري**: (في حالة التلقي في جمع القراءات)، **ووقف اضطراري**: (وهو ما كان في ظرف خارج عن الإرادة كعطاس، ونعاس، ونسيان، وعجز، وضيق نَفَس، أو ما شابهه من أمور طارئة)، فيقف القارئ حيث اضطر، ثم يعود لإعادة القراءة وإتمام المعنى، **ورابع اختياري**: يتم باختيار القارئ وإرادته؛ ويتفرع إلى: واجب أو لازم، وتام، وكاف، وحسن، وجائز بوجوه ثلاثة؛ الوقف جائز والوصل أَوْلَى، وعكسه، وجواز الوجهين، إضافة إلى وقف قبيح، وهو الممنوع. ولكل منها أمثلة مبسوطة في كتب التجويد، وتضبط أحكامَ الوقف والابتداء القاعدةُ المطردة في ذلك، وهي: (**حيث تمَّ المعنى قف، وحيث لم يتمّ استأنف**). كما تضبطها علامات الوقف المشهورة في غالب المصاحف بالرسم العثماني، وهي ــ بالمناسبة ــ اجتهادية توفيقية غير توقيفية، تنطلق في وضعها من الأصل في اكتمال عناصر الجملة، وسلامة اللغة، وتمام المعنى، لذا قد تختلف في الطبعات، لتباين اجتهاد لجان طباعة المصاحف.

المطلب الثاني: أمثلة عن اللحن في الوقف والابتداء عند التلاوة

يُعدُّ الالتزام بقواعد الوقف والابتداء من أهم أسس تدبُّر القرآن الكريم، وتذوّق معانيه، وفهم مراده، وينسب إلى الإمام علي كرَّم الله وجهه في معنى الترتيل من قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: 4)، **الترتيل**: هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف[9]، فضبط أحوال الوقف والابتداء، ومعرفة أين

---

[8] ينظر: ابن الطحان، أبو الأصبع المعروف بابن الطحان، **نظام الأداء في الوقف والابتداء**. ص22.

[9] هذا أثر ينسب إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ دون سند، وأول من نسبه الإمام أبو القاسم الهذلي؛ "قال علي: الترتيل معرفة الوقوف، وتحقيق الحروف". ينظر: مجلة كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، **كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله للهذلي**، تحقيق: د محمد عمار الددو، المجلد 34، ص 337، وتبعه ابن الجزري في أكثر كتبه، فقال: (وقد سئل علي ﷺ عن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: 4)، فقال: الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف). ينظر: ابن الجزري، الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**. ج1، ص225، وابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن

يقف القارئ، ومن أين يبدأ، هو شطر هذا العلم الجليل. والأصل في اللغة أن اكتمال عناصر الجملة بفرعيها الاسمية والفعلية يجعل السامع مؤهلاً لاستيعاب معنى الكلام المراد، والجملة غير التامة لا تفيد معناها إلا إذا اكتملت عناصرها، من مبتدأ وخبر في الاسمية، وفعل وفاعل ومفعول به في الفعلية، وبالتالي فالكلام الناقص غير التام لا يفيد معنى تاماً، بل ربما شوَّه المعنى المراد لو بتر إتمامه. من هنا لا يمكن تحقق التدبُّر والتأمل والتفكُّر في مراد الله تعالى من كلامه في القرآن إلا إذا تُلِيَ القرآن الكريم سليماً من حيث الأداء؛ وأقصد هنا: (التزام أداء أحكام التلاوة)، وفصيحاً من حيث البناء؛ وأقصد هنا: (التزام ضبط قواعد اللغة)، فإذا ما انضبط الأمران كان ذلك سبيلاً للتدبُّر والتفكُّر في كلام الله تعالى؛ تذوّقاً، وحِسّاً، وتأمُّلاً، وتفاعلاً، وكان ذلك مدعاة للخشوع والخشية والهيبة، وهو من أهم آثار التلاوة والترتيل الذي أخبر عنه الباري سبحانه في كتابه بقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: 21).

وأمثِّل هنا لعدد من نماذج الوقف والابتداء التي يعزّز الالتزامُ بها تذوَّقَ المعنى القرآني المراد تدبُّره، مثل:

- الوقف على قوله تعالى:﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (يس: 76). و﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ هنا هو قول الله تعالى، وليس مقول قول الكافرين الذي يُفهَم من وصل الكلام، لذا كان الوقف لازماً واجباً على لفظ: ﴿قَوْلُهُمْ﴾، ولا يصحُّ الوصل أبداً.

محمد بن الجزري، **التمهيد في علم التجويد**. ص40، والسيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**. ج1، ص282.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: 103). و﴿ وَلَوۡ ﴾ هنا للتمني، وليست شرطية، أي بمعنى: يا ليتهم كانوا يعلمون.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَيَخۡتَارُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨ ﴾ (القصص: 68)، وهذا يؤيد موقف أهل السُّنَّة في ثبوت الاختيار لله وحده، على اعتبار ﴿ مَا ﴾ الثانية نافية في: ﴿ مَا كَانَ ﴾. بخلاف ما لو وصل الآية، فتصبح ﴿ مَا ﴾ الثانية كالأولى في: ﴿ مَا يَشَآءُ ﴾ موصولة، بمعنى أن للعباد الخِيَرة، وأن الله تعالى يختار لعباده ما يختارون لأنفسهم، وهذا مذهب المعتزلة[10].

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾. أو الوقف على قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: 2).

- الوقف على: ﴿ فَكَذَبَتۡ ﴾، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (يوسف: 27). للتأكيد على معنى وحقيقة واقع القصة، وليس على احتمال فرضية التفريع في احتمال إحدى الصورتين بين قَدِّ القميص من القُبُل أو الدُّبُر.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُۖ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: 92)، فتكون الجملة الاسمية خبرية وهي مقول

[10] ينظر: الحصري، الشيخ محمود خليل، **معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء**. ص8.

القول، و﴿ لَا ﴾ نافية للجنس، وتثريب اسمها و﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾ خبرها، و﴿ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر ثان، أو بمتعلق الخبر وهو ﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: 92)، فتكون الجملة الفعلية دعائية بمثابة التعليل[11].

المطلب الثالث: أثر اللحن في الوقف والابتداء على هجر تدبر القرآن الكريم

لا شك أن عدم ضبط أحكام الوقف والابتداء في التلاوة والأداء يذهب بالقارئ والسامع في المعنى بعيداً، خاصة إذا وقف مواقف منكرة، أو تعثَّر في ابتداءٍ قبيح. وأمثلة هذا كثيرة جداً، وأُمثِّل هنا لأهم هذه الحالات غرابة:

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ ﴾ (الممتحنة: 1). ولا يخفى ما فيه من قلب المعنى المراد لضده.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ ﴾، والبدء بقوله: ﴿ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ (الرعد: 18).

---

[11] ينظر: درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**. ج5، ص44.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (يس: 22). ولا يخفى قبح المعنى ونكارته في تضاده مع المعنى الأصلي المقصود.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء: 43). ولا يخفى ما في هذا الوقف والبدء القبيحين من مخالفات شرعية من النهي عن الصلاة، والاتهام بشرب الخمر.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ ﴾، والبدء بقوله تعالى: ﴿ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: 258)، وهذا من أشدِّ أنواع الوقف القبيح الذي يخالف أصول العقيدة واللغة والأدب مع الله تعالى.

- الوقف على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾، ويبدأ بقوله تعالى: ﴿ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ (البقرة: 26)، وهو من أشدِّ أنواع الوقف والابتداء المنكرة، ولا يخفى ما في هذا الوقف والابتداء من سوء الأدب مع الله تعالى.

- ومثله الوقف على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ ﴾، ويبدأ بقوله تعالى: ﴿ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (النساء: 48)، وهو مما يخالف العقيدة، فيمنع دفعاً لتوهُّم معاني فاسدة، لا تليق بذات الله تعالى.

والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً مما يخالف في المعنى، ويحيله إلى ضده من معانٍ فاسدة في العقيدة، أو اللغة، أو تغيير في الحقائق الشرعية والدينية، والأصل في أمر الوقف والابتداء اكتمال أركان الجملة،

وسلامة اللغة، وتمام المعنى؛ فيقف حيث تمَّ المعنى، ويستأنف حيث لم يتمّ. وما علامات الوقف المتناثرة في صفحات القرآن الكريم إلا ضوابط اجتهادية توفيقية غير توقيفية لهذا المعنى، تجتهد في اعتمادها اللجان العلمية للمصاحف عند طباعة المصحف الشريف، من خلال مطالعات ميادين الإقراء، وما يلاحظه القراء والمفسرون أثناء عملية التلقين، وفي مجالس الإقراء والتفسير، فلربَّما اجتهدوا في الوقف على موضع رأوا الوقف عليه أَوْلى، وسابقاً كانوا يرون الوصل أَوْلى، أو العكس، لذا قد يختلف وضع هذه العلامات من مصحف إلى آخر، ومن طبعة إلى أخرى، كما هو الحال من خلال المتابعة والمطابقة في طبعات مصحف المدينة المنورة المختلفة، والذي تجاوزت طبعاته العشرين، وغيره من طبعات متتالية للمصحف الشريف.

المبحث الثاني: آثار اللحن في المدود على هجر تدبر القرآن الكريم

المطلب الأول: بيان أحكام المدود العامة وأهميتها

يُعرَّف **المدُّ** بأنه إطالة الصوت بحركتين فأكثر في أحد حروف (المد، أو العلة، أو الجوف، أو الهواء) الثلاثة، وهي: (الألف والواو والياء السواكن، والمحرك ما قبلها بحركة من جنسها)، وبحد أقصى ست حركات، على اختلاف في درجات المد ونوعه؛ ما بين أصلي وفرعي، وواجب وجائز، وأصلي وعارض، فهناك المد الطبيعي؛ وهو الأصلي الذي لا يخرج فيه صاحب الطبع السليم عن مقداره وحده الواجب في حركتين، وتندرج تحته خمسة أنواع من المد الأصلي، تأخذ أسماء مختلفة، لكنها متحدة في أصلها ومقدار مدها، وهي العِوض، والبدل، والتمكين، والصلة الصغرى، والطبيعي الحرفي، وهناك المد الفرعي بسبب الهمز، ونوعاه الواجب المتصل، ومقدار مده من أربع إلى خمس حركات وجوباً، والجائز المنفصل، ويلحق به مد الصلة الكبرى، ومقدار مده حركتان، أو من أربع إلى خمس حركات جوازاً، أما المد الفرعي بسبب السكون فهو قسمان: ما كان بسبب سكون أصلي، ويمدُّ ست حركات لزوماً، وهو المد اللازم بفروعه الأربعة: الكلمي والحرفي؛ المثقَّل، والمخفَّف، وما كان بسبب السكون الطارئ، ويخيَّر في مدِّه بين القصر، والتوسط، والطول، وهو المد العارض للسكون، ويلحق به مد اللين. وتنضبط القراءة في اعتماد أحد الوجوه الجائزة في التلاوة، فلا يتجاوزها إلى اختيارٍ آخر خلال مجلس التلاوة، كي لا يقع في لحن خفي.

ومما هو متعارف عليه في مجالس القراءة والإقراء أن الالتزام في تحقيق وضبط أحكام المدود إنما هو قواعد وضوابط في كيفية تعلُّم التجويد وتعليمه، والمنحصرة في آلية التلقين والسماع، وعملية المشافهة والتلقي، والتي تعتمد اكتساب مهارة بعد مِران ودُرْبة وتصويب، كي يتم ضبط مهارة التجويد، بعيداً عن أي اجتهاد في تطبيقها أو تحصيلها.

ومن المعلوم في هذا الباب أن علم الترتيل وتلاوة القرآن الكريم وتطبيق أحكام التجويد إنما هو سُنَّة متَّبعة، يأخذها اللاحق عن السابق، وهو مما يسجل في باب إعجاز وحفظ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أمثلة عن اللحن في المدود عند التلاوة

لا شك أن الخروج عن قاعدة التلقِّي المنضبطة بقواعد التجويد تجعل اللحن متوقَّعاً بدرجات متفاوتة، نسبة لمقدار ضبط الأداء وعدمه. ونمثِّل هنا لبعض الأمثلة التي يختل فيها الالتزام بقواعد وأحكام المدود، وما يترتب على ذلك من آثار خطيرة في تغيُّر المعنى تغييراً فاحشاً، أو قلْبِه إلى ضدِّه، ومنها:

- خَطْفُ المد الجائز المنفصل، في قوله تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ (الكافرون: 2) في أقل درجاته وهو حركتان، فيجعلهما حركة واحدة، بقوله: (لأَعبد) بدل قوله تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ فيتحول الفعل من حالة النفي إلى ضده وهو الإثبات، ولا يخفى ما فيه من لحن جليٍّ في تغييرٍ فاحشٍ للمعنى الذي يحرم قوله وفعله، ويُعاقَب متعمِّدُه.
- خَطْفُ المد الطبيعي، وتحويله من حركتين واجبتين فيه إلى حركة واحدة لحرف العلة/المدّ المتلو، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ (الشرح: 2)، و﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ (الشرح: 4)، فيقرأ: ﴿وَوَضَعۡنَا﴾، و﴿وَرَفَعۡنَا﴾ يلغي (نا) الدالة على فاعل الفعل في نسبة الفعل إلى الله تعالى، الذي رفع ذِكر النبي ﷺ، ووضع عنه وزره، ليؤول فاعل الفعل إلى نون النسوة في (ووضعن) و(ورفعن)، ولا يخفى ما فيه من تغيير المعنى، ومن اللحن الجلي الذي يحرم فعله، ويُبطل الصلاةَ إنْ تعمَّده فيها.
- حَذْفُ ألف ﴿لَا﴾ النافية، وهي مد طبيعي بمقدار حركتين في قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يَعۡلَمُونَ ﴾ (النحل: 38)، لتصير لاماً مفتوحة بدون ألف، وتؤول إلى لام التوكيد: (لَيبعث الله من يموت)، ولا يخفى ما فيه من اللحن الجلي لتغيير المعنى.

- عَكْسُ الحالة السابقة في إطالة لام التوكيد المحركة بحركة فتحة واحدة ﴿لَأَغۡلِبَنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ (المجادلة: 21)، لتؤول إلى حركتين فتصير لام التوكيد لا النافية، لينحرف المعنى كلياً إلى ضده: (لا أغلبن أنا ورسلي)، ولا يخفى ما فيه من اللحن الجلي المحرَّم، لتغييره المعنى إلى ضدِّه.
- استبدال المد اللازم الكلمي المثقَّل في المفردتين المكررتين في قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (النمل: 59)، و﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴾ (يونس: 59)، و﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ (الأنعام: 143)، و﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ (الأنعام: 144)، والمخفَّف في المفردة المكررة: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ (يونس: 51)، و﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (يونس: 91)، والواجب مدّه ست حركات، ليؤول إلى حركة واحدة لهمزة الوصل، فيؤول المعنى إلى الإخبار بدلاً من الاستفهام فيها جميعاً: **(الذَّكرين)**، **(الله)**، **(الآن)**.

المطلب الثالث: أثر اللحن في المدود على هجر تدبر القرآن الكريم

الحق أن التقيد بأحكام المدود وإعطاءَها حقها من إشباع مدِّها، بضبط دون تمطيط أو تقصير، يعطي المجال للقارئ والمستمع والمتابع جميعاً للوقوف على المعاني، والتأمل والتدبُّر في دلالات الألفاظ ومرامها، وهو مقصد التلاوة وغايتها وهدفها، بخلاف الذي يحدر سريعاً في التلاوة، بلا مراعاة لأحكام المدود، فتجده في توتر وتسرّع سعياً لإتمام القراءة، وإكمال التلاوة، ومعلوم أن الهدف من التلاوة تحقيق تدبُّر الآيات، وذلك لا يتأتَّى إلا بتحقيق الكيف من الأناة والهدوء المفضي إلى الخشوع، لا بتحصيل الكمّ الكبير من التلاوة في أقصر زمن، مما يسبب وقوع اللحن في الأداء.

ومن المسلَّم به أن القراءة بالمد أصل في التلاوة، وبه وصلتنا بالتواتر كابراً عن كابر، فالقراء العشرة في قراءاتهم وأسانيدهم يَقرؤون ويُقرؤون بالمد في قواعد منضبطة لفروع المد وأقسامه، شأنه شأن سائر

أحكام التلاوة، وقد اشتهرت التلاوة بمقادير مدودها ضبطاً وتلقيناً. والترتيل في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: 4)، إنما يقصد به التمهل، والتمهل هو المد[12]، وقد جاء في السنَّة المطهَّرة تأكيد القراءة بالمد، فعن قتادة، قال: «سُئل أنس ﷺ كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مداً»، ثم قرأ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة: 1) يمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم»[13]. وكان ابن مسعود ﷺ يُقرِئ القرآن رجلاً فقرأ الرجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ (التوبة: 60) مرسلة _ أي بدون مدّ في كلمة ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾_، فقال ابن مسعود ﷺ: «ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، قال: أقرأنيها: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ (التوبة: 60) فمددها»[14]. ولا شك أن ضبط المدود وأداءها سليمة صحيحة مدعاةٌ للخشوع والتفكُّر والتدبُّر، وهو ما ندبنا ربنا تبارك وتعالى إليه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد ﷺ: 24). وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص: 29). ومما هو معلوم من أهداف وآداب التلاوة القراءة بترسُّل[15]؛ وكيفيتها أن يقف القارئ عند كل آية رحمة، فيسأل الله تعالى فضله ورحمته، وما يتمناه من خيرَي الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾

---

[12] المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي، **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**. ج1، ص266، وشكري، أحمد خالد وإخوانه، **المنير في أحكام التجويد**. ص 7.

[13] البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، ص929، رقم الحديث: 5045.

[14] رواه الطبراني في المعجم الكبير وقال: هذا الحديث حجة، ورجال إسناده ثقات، ج9، ص137، رقم الحديث: 8677، الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**. وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد**: رجاله رجال الصحيح، ج7، ص155.

[15] والترسل: هو تحقيق القراءة، والتمهُّل فيها دون عجلة، وهو أمر زائد على الترتيل، يعطي فرصة للقارئ كيف يفهم ويتدبَّر المعنى. ويشار في هذا إلى صفة صلاة النبي ﷺ والقراءة فيها مترسّلاً، كما في الصحيح عن حذيفة، قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسّلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوّذ تعوَّذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريباً من قيامه». قال: وفي حديث جرير من الزيادة، فقال: «سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد». مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ص281، رقم الحديث: 203 _ (773).

(النساء: 32)، وكما في قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ (الإنسان: 31)، فيسأل الله الدخول في رحمته بقوله: (اللهم أدخلنا في رحمتك)، ويقف عند كل آية عذاب، فيستعيذ بالله منه، ويقف عند كل آية فيها سؤال فيجيب بالرد على السؤال المسبوق بالنفي، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ (التين: 8)، فيجيب بقوله: (بلى ونحن على ذلك من الشاهدين)[16]. ويجيب بالنفي على السؤال الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: 50)، فيجيب بقوله: (لا أحد)، ولهذا نظائر في القرآن الكريم، ويسبّح استجابة للأمر به في أكثر من آية؛ كقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (الحاقة: 52)، فيجيب بقوله: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، أو بغيرها من صيغ التسبيح، على وجه النفل والندب، كما يختم الفاتحة بقوله: (آمين)، بمعنى استجب لنا، والأمثلة كثيرة في بيان هذا، مع الاعتقاد أن هذه الإجابات هي من باب الدعاء والتسبيح والذكر، وهي خارجة عن نص التلاوة، إذ ليست قرآناً، لذا تُذكرُ سراً، ولا يجهر بها كالقرآن، خاصة في صلاة الفريضة.

المبحث الثالث: أثر اللحن في مراتب التلاوة على هجر تدبر القرآن الكريم

المطلب الأول: بيان مراتب التلاوة، وكيفياتها، وأساليبها

تنقسم مراتب التلاوة عند أهل الإقراء إلى ثلاث مراتب؛ التحقيق، والتدوير، والحدر، وفرّق بعضهم بين التحقيق، والترتيل.

وقد بيَّن الإمام ابن الجزري رحمه الله هذه المراتب موضّحاً ومفرّقاً، فذكر أن كلام الله تعالى يُقرأ بالتحقيق، وبالحدر، وبالتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين، مرتَّلاً مجوَّداً بلحون العرب وأصواتها، وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة.

---

[16] حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية، سمعه من شيخ، فقال مرة: سمعته من رجل، من أهل البادية أعرابي، سمعت أبا هريرة ﷺ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾ فقال ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٠﴾ (المرسلات: 50)، فليقل: آمنا بالله، ومن قرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ (التين: 1)، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ (القيامة: 40)، فليقل: بلى». أخرجه أحمد في المسند، ج12، ص353، رقم الحديث: 7391، وإسناده ضعيف لجهالة الرجل عن أبي هريرة ﷺ.

فالتحقيق: هو المبالغة في الإتيان بالشيء على حقِّه من غير زيادة فيه، ولا نقصان منه، وهو عبارة عن إعطاء كل حرف حقَّه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغُنَّات، وتفكيك الحروف؛ وهو بيانها، وإخراج بعضها من بعض، بالسكت والترسُّل واليُسر والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف، ولا يكون غالباً معه قصر ولا اختلاس، ولا إسكان محرك ولا إدغامه، فالتحقيق يكون لرياضة الألسن، وتقويم الألفاظ، وإقامة القراءة بغاية الترتيل، وهو الذي يستحسن ويستحب الأخذ به على المتعلِّمين، من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط من تحريك السواكن، وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتطنين النونات بالمبالغة في الغُنَّات.

وأما **الحدر**: فهو إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر، والتسكين، والاختلاس، والبدل، والإدغام الكبير، وتخفيف الهمز، ونحو ذلك مما صحت به الرواية، ووردت به القراءة مع إيثار الوصل، وإقامة الإعراب، ومراعاة تقويم اللفظ، وتمكُّن الحروف، وهو عندهم ضد التحقيق. فالحدر يكون لتكثير الحسنات في القراءة، وحوز فضيلة التلاوة، وليحترز فيه عن بتر حروف المد، وذهاب صوت الغنة، واختلاس أكثر الحركات، وعن التفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة، ولا يخرج عن حد الترتيل.

وأما **التدوير**: فهو عبارة عن التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن روى مدّ المنفصل، ولم يبلغ فيه إلى الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وصحَّ عن جميع الأئمة، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء. وأما **الترتيل**: فهو مصدر من رتَّل فلانٌ كلامَه، إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير عجلة، وهو الذي نزل به القرآن. وقد أمر الله تعالى به نبيَّه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: 4). قال ابن عباس: بيِّنه. وقال مجاهد: تأنَّ فيه. وقال الضحاك: انبذه حرفاً حرفاً. يقول تعالى تلبَّث في قراءته، وتمهَّل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكَّده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً له، ليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن وتفهمه، وكذلك كان ﷺ يقرأ، فالتحقيق داخل في الترتيل[17].

المطلب الثاني: أمثلة عن اللحن في مراتب التلاوة

---

[17] ينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج1، ص205.

لدى تتبُّع مراتب التلاوة، ومدى الانضباط فيها، يلاحظ أن أكثر ما يظهر من آثار لهذا التجاوز واللحن في هذه المراتب والكيفيات، إنما يتحقق في مرتَبَتَي التحقيق والحدر، من حيث البطء المملّ في التحقيق، أو السرعة المخلَّة في الحدر، فتغدو القراءة تمطيطاً مخلّاً غير ملتزم، أو هذرمة مملَّة غير منضبطة.

كما أن عدم الالتزام بمراتب التلاوة مفضٍ إلى وقوع اللحن بنوعَيه: الجليّ والخفيّ، من خلال اللحن في الأداء، وعدم الالتزام بقواعد وأصول هذه الكيفيات والمراتب، نتيجة سرعة وجهل في أداء الأحكام. خاصة في المفردات ذات الحروف المتقاربة والمتماثلة التي تحتاج إلى دُربة وتأنٍّ في الأداء، وأضرب لذلك نماذج منها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا ﴾ (البقرة: 26)، ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ (النساء: 4)، ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾ (النساء: 78)، ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم: 10)، ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (الأحقاف: 4)، ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴾ (الذاريات: 29)، ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾ (النجم: 22)، ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (المجادلة: 8)، ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴾ (الطلاق: 6).

كذلك يؤدي اللحن في التلاوة، وعدم التقيد بقواعدها في المراتب والكيفيات إلى اضطراب في الأداء؛ فيحذف حروفاً أصيلة، نتيجة سرعة مفرطة، فيقلب المعنى ويحرّفه؛ كما في خطف حركاتِ كلٍ من: (تؤمنُ)، بدل ﴿ حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة: 4)، و(يتفرقَ يغني) بدل ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (النساء: 130)، أو يضيف حروفاً لا وجود لها نتيجة إطالة الصوت، مراعاة لجماله، فيغيّر المعنى إلى ضدِّه؛ كما في مد: (بلغنا) بدل ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ (الطلاق: 2)، و(فلما

كفرا قالا) بدل ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ﴾ (الحشر: 16)، أو أن يغيّر في حركات الإعراب جهلاً واجتهاداً وظناً في الصواب؛ كما في: (فكان عاقبتُهما أنهما في النار خالدِين فيها) بدل: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ (الحشر: 17)، وكذلك الخلط بين همزة القطع والبدل في (أتوا)، و(ءاتوا) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ (الفرقان: 40) فتقرأ (آتوا)، وضدّها: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ (النساء: 4) فتقرأ (وأتوا). والأمثلة لا حصر لها.

المطلب الثالث: أثر اللحن في مراتب التلاوة على هجر تدبر القرآن الكريم

يختلف أثر تدبر القرآن الكريم باختلاف مراتب التلاوة وكيفياتها، وذلك بالنسبة إلى مرتبة التلاوة، وضبط الأداء فيها، ولا شك أن مستوى التدبر يقلُّ أو يكثر بنسبة الضبط المتحصّل في الأداء.

وقد أغنانا الإمام ابن الجزري رحمه الله في بيان أفضلية هذه المراتب ففصّل فيها قائلاً: "وقد اختلف في الأفضل؛ هل الترتيل وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة؟ فذهب بعضهم إلى أن كثرة القراءة أفضل، واحتجوا بحديث ابن مسعود ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها»[18]، ولأن عثمان ﷺ قرأه في ركعة، وذكروا آثاراً عن كثير من السلف في كثرة القراءة، والصحيح بل الصواب ما عليه معظم السلف والخلف، وهو أن الترتيل والتدبير مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه، والتفقُّه فيه، والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه، وقد جاء ذلك منصوصاً عن ابن مسعود وابن عباس ﷺ، وسئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما (البقرة)، والآخر (البقرة) و(آل عمران) في الصلاة، وركوعهما وسجودهما واحد، فقال: الذي قرأ (البقرة) وحدها أفضل. ولذلك كان كثير من السلف يردد الآية الواحدة إلى الصباح، كما فعل النبي ﷺ.

وقال بعضهم: نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً. وروينا عن محمد بن كعب القرظي رحمة الله عليه، أنه كان يقول: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾، و﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ لا أزيد

[18] في إشارة إلى تمام الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». حديث حسن صحيح غريب. **سنن الترمذي**: أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، ج5، ص175، رقم الحديث: 2910.

عليهما، وأتردد فيهما، وأتفكَّر، أحبُّ إليَّ من أن أهذَّ القرآن هذَّاً، أو قال: أنثره نثراً، وأحسن بعض أئمتنا رحمه الله فقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبُّر أجلُّ وأرفع قدراً، وإن ثواب كثرة القراءة أكثر عدداً. فالأول كمن تصدَّق بجوهرة عظيمة، أو أعتق عبداً قيمته نفيسة جداً، والثاني كمن تصدَّق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال. وفرَّق بعضهم بين الترتيل والتحقيق: أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل يكون للتدبير والتفكُّر والاستنباط، فكل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً"[19].

كما أشار النووي إلى أهمية الترتيل واستحبابه في كتابه (التبيان)، فقال: "وينبغي أن يرتِّل قراءته، وقد اتفق العلماء على استحباب الترتيل..، وقد نهي عن الإفراط في الإسراع، ويسمى الهذّ[20]..، والترتيل مستحب للتدبر ولغيره."[21].

المبحث الرابع: أهمية تلقِّي التلاوة بالإجازة والسند في تحقيق آثارها المرجوة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية تلقِّي التلاوة بالإجازة المسندة، وأثر الالتزام بها في تدبر القرآن الكريم

مما يُحِسُّه ويشعر به طالب تلاوة القرآن الكريم خلال قراءته للقرآن، وأثناء تلقِّيه لأصولها على الأشياخ الثقات المجازين بالسند _ وخاصة العالي منه _ ذاك التواصلُ القلبي، وتلك الصلةُ الروحية، بينه وبين الشيخ المقرئ، واستشعار هذا السر العظيم في اتصاله بسند الإقراء المتواتر كابراً عن كابر، وفي دخوله سِرْب سند الإقراء، ودَرْجِه في سلسلة القرَّاء والحفَّاظ لكتاب الله تعالى، ولحاقه بأهل القرآن أهل الله

---

[19] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج1، ص165.

[20] الهذُّ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة ومداركتها في استعجال، وهذَّ القرآن يهذُّه هذَّاً، أسرع في قراءته. ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**: ج3، ص517.

[21] النووي، الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، **التبيان في آداب حملة القرآن**. ص107.

وخاصته[22]. وأنعم بها من نشوة إيمانية عامرة، ولذة روحية رائعة، ومتعة لا يدركها إلا مَن ذاق طعمها، وعرف فضلها، ولله درُّ مَن قال: مَن ذاق عرف، إلا أن هذه المنحة العظيمة تستوجب استشعار حمل أمانة كبرى، واستحضار حمل ثقيل، وتحمُّل مسؤولية عظمى، تُلزم حاملها بأداء الأمانة كما ائتُمِن عليها، وتحمُّل المسؤولية نحو كتاب الله تعالى تماماً كما حُمِّلَها، وقد أشار المولى سبحانه إلى عظم حمْل الأمانة التي نأت الجبال عن حملها لثقلها وحملَها الإنسان. قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ (الأحزاب: 72)، بمعنى أن يؤدي أمانة القراءة والإقراء حقَّاً كما تحمَّلها وتلقَّاها، فيقرأ ويُقرِئ ويعلِّم، كما تلقَّى وتلقَّن وأُقرِئ وتعلَّم، ليكون سرُّ القراءة متصلاً ممتداً في بركته ونفحاته وخيراته، مستمراً ببركة الإجازة بالسند، وبشروطها المعتبرة عند شيوخ وأهل الإقراء، وهذا ما يشير إليه، وينبّه عليه القراء في إجازاتهم فيما يوصون به المجاز نهاية الإجازة من الوصية بتقوى الله تعالى، والمحافظة على الإقراء، بشروطه المعتبرة عند أهل القراءة[23].

المطلب الثاني: أثر عدم الالتزام بشروط الإجازة المسندة في التلاوة

من المتفق عليه عند أهل القراءة والإقراء أن القارئ للقرآن الكريم لا يسمى قارئاً إلا إذا قرأه كاملاً، وختمه ولو مرة واحدة على أهل القراءة، وأُجيز منهم بالسند، وبشروط الإجازة المعتبرة عند شيوخ الإقراء. فلا يسمى قارئاً مَن اجتهد بنفسه في التلاوة، فذهب يتحرَّى الصواب في قراءة المفردات القرآنية معتمداً على خبرته أو معرفته بقواعد اللغة العربية، فلربما وقع في غلط خطير، ولربما أخطأ في لحنه بالتلاوة خطأً جسيماً في لحن جليٍّ يحرِّف المعنى، أو يفسده، أو يقلبه إلى معنى مغاير ومخالف. إذ للتلاوة أصول وقواعد وضوابط لا يمكن الإلمام بها إلا من خلال التلقِّي أصولاً. ولقد رأينا وعايشنا نماذج غريبة عجيبة في تلاوات مليئة باللحن الجلي، نتيجة اجتهادات أصحابها في تحليل لفظ المفردات، دون سابق دُرْبَة

---

[22] في إشارة إلى الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس، قالوا: يا رسول الله مَن هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصَّته». سنن ابن ماجه: المقدمة، باب فضل مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه، ج1، ص78، رقم الحديث: 215، وفيه: في الزوائد: إسناده صحيح. ورواه أحمد في المسند، وإسناده حسن. **الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج19، ص305، رقم الحديث: 12292.

[23] ينظر: مبحث التلقِّي والتلقين، المجيدي، أ. د. عبد السلام مقبل، **التلقِّي النبوي للفظ القرآني**. ص125.

أو تلقين[24]، ومن المعلوم بالبداهة أن آلية التلاوة تعتمد على التلقّي والتلقين والمشافهة، وهي سُنَّة متَّبعة، يأخذها اللاحق عن السابق بمنهجية ثابتة لا اجتهاد فيها. فأنَّى لأحكام التلاوة المختلفة من: التسهيل، والسكت، والإشمام، والرَّوم، والنقل، والإبدال، والتقليل، والإمالة، وقواعد الوقف والابتداء، ومقادير المدود المختلفة، وضوابط المخارج والصفات، وغيرها، أن تنضبط عند فاقدها، فيتلو القرآن تلاوة صحيحة سليمة خالية من أي لحن، أو زلل محتَّم، نتيجة سابق خبرة ودُرْبَة في نطقها ولفظها، والحقُّ أن كلام الله تعالى منزَّهٌ عن الخطأ في التنزيل، والتعلُّم والتعليم، والقراءة والإقراء، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: 42). لذا وصف طبيعة قراءته وتلاوته بالترتيل، بمعنى التجويد والتحسين والتزيين في القراءة، فقال تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: 32)، بل إن الله تعالى قد حثَّ على ترتيل القرآن الكريم على سبيل الأمر به، والندب إليه، فقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: 4).

المطلب الثالث: آلية تدبُّر القرآن الكريم

التدبُّر لغة: التفكر فيه، ودبَّر الأمر وتدبَّره: نظر في عاقبته، وعرف الأمر تدبُّراً أي بآخره؛ والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته.

والتدبير: أن يتدبَّر الرجل أمره، ويدبِّره أي ينظر في عواقبه، واستدبر ــ ضد استقبل ــ الأمر: رأى في عاقبته ما لم يرَ في صدره واستأثر.

---

[24] وأضرب هنا مثالاً لطالبة قرأتْ في مسابقة أمامي للفظة قرآنية بالخطأ؛ إذ لقَّنتها أستاذتها الآية: (وأَتْمِرُوا) بدل ﴿ وَأْتَمِرُواْ ﴾ المعروفة في الآية السادسة من سورة الطلاق: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ (الطلاق: 6)، وحين راجعتُ الأستاذة أقرت بصواب اجتهادها في التلاوة على أن المعنى في (وأَتْمِرُوا) من التمر! وآخرُ طبَّق عملياً اللفظة الخاطئة (فَعَضُّوهُنَّ)، وأقرَّ أمام المحكمة بفعلته (العضّ) مستشهداً بالآية: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ ﴾ (النساء: 34). وثالثٌ يلفظ (نَحْلَةً) في الآية: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ﴾ (النساء: 4)، والأمثلة لهذه الفضائح والمصائب كثيرة جداً مما نعانيه في ميدان الإقراء مِن تَصَدُّر غير المؤهلين لها في تعليم الأجيال، فيهرفون بما لا يعرفون. نسأل الله السلامة.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون: 68) أي ألم يتفهموا ما خوطبوا به في القرآن[25].

والتدبُّر اصطلاحاً: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر؛ إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبُّر تصرفه بالنظر في العواقب[26]. وعن ابن مسعود ﷺ: «لا تهذُّوا القرآن كهذِّ الشِّعر، ولا تنثروا كنثر الدقل، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم من السورة آخرها»[27]، قال ابن عون رحمه الله: كان محمد ابن سيرين يحب الترتيل في القرآن ويختاره، وكان هو يبدأ فيرتِّل، ثم يندفع فربما خفي عليّ من قراءته. وقال محمد: هذه الأصوات التي تقرؤونها محدثة. وقيل لمجاهد رحمه الله: رجل يعجل في القراءة وآخر يترسَّل؟ قال: إن أحبَّ الناس إلى الناس أعقلهم عنه[28]. والحق أن آلية التدبر والتمعُّن والتأمُّل والتفكُّر في كلام الله تعالى تنضبط من خلال الالتزام بآداب وأحكام التلاوة دون تعسُّف، أو تكلُّف في تمعُّر، أو تقعُّر، أو تشدُّق، أو هذرمة، أو تطريب، أو ترقيص، تماماً كما تمت الدُّرْبَة على ضبطها عند مَهَرَة أهل التخصص فيها، مع عقد القلب على التفكر والتمعُّن والتأمل في معاني التلاوة، واستشعار عظمة الله تعالى في قدسية المتلو، وأنه كلام الله تعالى، الموحى به إلينا عبر الثقات، من سيدنا جبريل أمين وحي السماء عليه السلام، إلى سيدنا رسول الله ﷺ أمين وحي الأرض، إلى الأثبات من أهل القرآن؛ أهل الله تعالى وخاصته. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص: 29)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ (محمد ﷺ: 24)، وقال تعالى أيضاً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء: 82). لذا فإن من مخرجات هذا الانضباط في تحقق آداب التلاوة تحصيلَ ثمارها المتوخاة من التأثر والخشوع، وحضور القلب، ودمع العين؛ سكينةً وخشيةً من الله تعالى، وتلك منقبة لصاحبها، تجعله يتشرف بانتسابه لأهل الله تعالى وخاصته، وهم أهل

---

[25] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**. ج4، ص273، والفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**. ص499، والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**. ص198.

[26] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **كتاب التعريفات**. ص54.

[27] **البيهقي**، أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**. ج3، ص406.

[28] المَرْوَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج، **مختصر قيام الليل، وقيام رمضان وكتاب الوتر**. ص132.

القرآن، ويندرج ضمن السبعة الذين يستظلُّون في ظلِّ الرحمن يوم القيامة، كما ورد في الحديث الشريف[29]. وإن من أعلى وأشرف أنواع الذكر قراءة وتلاوة وترتيل القرآن الكريم.

ويمكن حصر آلية التلاوة المفضية إلى التدبُّر، وذلك بالتقيد واتباع الخطوات الآتية:

1. الإخلاص لله تعالى في التلاوة، فمما لا يخفى أن الإخلاص أصل أصيل في قبول الطاعات، وضدُّه الرياء المحبط للأجر والثواب، وهو الشرك الخفي. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾(الأعراف: 29).
2. اختيار الأماكن المباركة، كالمساجد، ومراكز التحفيظ، والغرف الخاصة بالعبادة في البيوت والمساكن.
3. تمام الطهارة الحسية، وذلك بالطهارة التامة من الحدثَين، والتزيين باللباس الجميل والنظيف، واستعمال السواك، والتطيب للمكان والأشخاص.
4. الاستعاذة والبسملة في ابتداء مجلس التلاوة، أملاً في استحضار الملائكة، وطرد الشيطان. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل: 98).
5. التهيؤ النفسي والروحي، وذلك في اختيار الوضعية المناسبة للتلاوة، استعداداً لتنزُّل الملائكة والرحمة[30].
6. تمام الطهارة المعنوية، وذلك بطهارة القلب من الحقد والغلّ والطباع المنفِّرة، والبُعد عن آفات القلب واللسان.

---

[29] في إشارة إلى الرجل الذي ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله تعالى، كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلُّهم الله في ظله، يوم لا ظلَّ إلا ظلّه: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه». أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**: كتاب الأذان، باب مَن جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث: 660، ص124، وأخرجه مسلم، **صحيح مسلم**: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم الحديث: 91_1031، ص370.

[30] في إشارة إلى حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». إسناده صحيح. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي، **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، رقم الحديث: 1455، ج2، ص71.

7. عقدُ وارتباطُ ثلاثيَّة الأبعاد في تحقيق معنى التدبر والمكونَّة من: **القلب** (استحضاراً لمقاصد القرآن، واستشعاراً لعظمة الخطاب)، **واللسان** (بالتحقق في آداب التلاوة، والتفاعل معها)، **والسمع** (بالإنصات، والتفكر، والخشوع) وهذا كله يعين على التدبُّر، ويحقِّق مراميه. وإلى هذا أشار ابن القيِّم في قاعدة جليلة إذ قال: (إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وأَلْقِ سمعك، واحضُر حضور مَن يخاطبه به مَن تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطابٌ منه لك على لسان رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37)[31].
8. ترداد الآيات وتكرارها والوقوف عليها مدعاةٌ لتثبيت حفظها، وسبيلٌ للتفكر والتدبُّر والتمعُّن في معناها.
9. القراءة الهادئة المجودة بترتيل منضبط في قواعد وأحكام التلاوة، وبترسُّل وتؤدة وتأنٍّ واطمئنان في أداء المراتب والكيفيات، مع التزام بقواعد الوقف والابتداء. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء: 106).
10. الاستعانة باختيار تفسير مبسَّط على هامش المصحف، للاهتداء إلى المعنى العام لأهم المفردات أثناء التلاوة، مما يعين على متابعة فهم المعنى الكلي للآيات، ويحقق خاصية التدبُّر لتلاوة القرآن الكريم.
11. تحيُّن الأوقات المباركة؛ كأوقات السحر، والفجر، والشروق، والضحى[32]، فهي أدعى للخشوع والتدبُّر لما فيها من الهدوء والسكينة، والبعد عن الصخب، وهي مواسم تنزُّل الرحمات.
12. تلمُّس بركة الوقت في البكور[33]. وهذا مجرَّبٌ لدى الحفاظ، ففي بكور النهار وصباحه يكون النشاط الذهني في أعلى مستواه، فيسهل الحفظ، ويثبت في الذاكرة، بخلاف ما هو عليه عند المساء من إرهاق وتشتت.

---

[31] ابن قيِّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، **الفوائد**. ص3.

[32] في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: 78).

13. الإطالة في القراءة الجهرية الخاشعة، وخاصة في صلاة القيام والتهجد، لما فيه من تجميع الفكر والذهن فيكون أدعى للتدبر؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ (المزمل: 1-6).

14. التحنُّن في القراءة، والتجمُّل في التلاوة، إذا كان القارئ يجيد هذا الجانب ويتقنه[34]، أو الاستماع لقرَّاء مميَّزين بالأصوات الحنونة والعذبة، في حال عدم توفر جمال في الصوت، أو حنان وعذوبة في القراءة.

15. وأختم بما ورد في أثر التلاوة بصوت شجي، المؤدية للخشوع والتدبر والتأثر بما يُتلى، فقد أحبَّ النبي ﷺ أن يسمع القرآن من غيره[35]، كما أنصت ﷺ لذوي الأصوات الشجية الندية في تلاوة القرآن الكريم[36].

---

[33] في إشارة إلى الحديث: عن علي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها». حسن لغيره. **الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد**، رقم الحديث: 1320، ج2، ص439، ورواه الترمذي في **سننه**: باب ما جاء في التبكير بالتجارة، رقم الحديث: 1212، ج2، ص508، وابن ماجه في **سننه**، باب ما يرجى من البركة في البكور، رقم الحديث: 2236، ج2، ص752. ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني، **سنن ابن ماجه**.

[34] عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منَّا مَن لم يتغنَّ بالقرآن»، وزاد غيره: (يجهر به). **صحيح البخاري**: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ رقم الحديث: 7527، ص1338. وعن أبي هريرة ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به». **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تزيين الصوت بالقرآن، رقم الحديث: 233 _ (792)، ص286. ومعنى (يتغنى بالقرآن) يُحَسِّن صوته به، وقال الشافعي وموافقوه معناه: تحزين القراءة وترقيقها. وعن البراء بن عازب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «زيّنوا القرآن بأصواتكم». إسناده صحيح. **الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد**، رقم الحديث: 18494، ج30، ص451.

[35] في إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أُنزِل؟ قال: «نعم» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ (النساء: 41)، قال: «حسبُك الآن»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان». **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبُك، رقم الحديث: 5050، ص929.

[36] عن أبي موسى ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود». **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم الحديث: 236_793، ص286. وزاد ابن حبان في روايته: «قلت: يا رسول الله، لو علمت مكانك، لحبَّرت لك تحبيراً». ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي الدارمي البُستي، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. رقم الحديث: 7179، ج3، ص26.

الخاتمة: تتبلور فكرة البحث وتتحقق أهدافه من خلال الإجابة على أسئلته المطروحة، ومعالجة إشكالياته المحددة، والتي تم بحثها في ثنايا عرض مباحثه الأربعة، وصولاً في نهاية المطاف لرصد أهم نتائجه المستفادة، وتوصياته المقترحة الآتية:

أهم النتائج المستفادة:

1. تدبُّر القرآن الكريم هو غاية تلاوته المباركة.
2. ضبط أحكام التلاوة من الوسائل والطرق المثلى التي تعين على التدبر.
3. تدبُّر القرآن سبيلٌ للخشوع والخشية من الله تعالى، وبابٌ مفتوح للوقوف على نماذج من الإعجاز البياني والتشريعي والعلمي والغيبي للقرآن الكريم.
4. قراءة متون علم التجويد ودراستها وفهمها؛ كالقاعدة النورانية، وتحفة الأطفال، ومقدمة الجزرية، ثم في علم القراءات؛ كالشاطبيَّة والدرَّة والطيِّبة وغيرها سبيلٌ للتمكن من هذا العلم الشريف، وتحقيق المهارة فيه.
5. الاجتهاد في التلاوة مدعاة للَّحن فيها، ومخالفة لأصولها، وسبيل للإثم، وذلك عند تجاوز قواعد الضبط فيها.
6. التلاوة والتجويد والحفظ والتدبُّر والفهم قنوات متتالية متتابعة الوجوب، تسير في سِلْكٍ دائري متواصل، ولا يتحقق الترتيل المشروع إلا بها قائمة مجتمعة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
7. إحياء الإجازة في التلاوة يحقق إعجاز القرآن في حفظه، ويحدُّ من العبَثيَّة في تعليمٍ وإقراءٍ غير منضبط.

أهم التوصيات المستفادة:

1. نشر الأبحاث العلمية الرصينة المتعلقة بفضل التلاوة، وربطها بأثر التدبُّر للقرآن الكريم.
2. إنشاء اتحاد عالمي للقراء، ينتظم فيه أهله بضوابط الإقراء، ويعتمد سياسة تنظيمية للإجازة بالسند، ويكون مرجعية علمية عالمية لعالَم القراءة والإقراء.

3. إقامة المؤتمرات والندوات التي تبرز جهود الأمة أفراداً ومؤسسات في نشر علم التجويد، وتنشيط فعاليات مدارس ومراكز تحفيظ القرآن الكريم.

4. تفعيل المسابقات الدولية لحفظ القرآن الكريم، وإبرازها إعلامياً، والتي تشجع على حفظ القرآن الكريم، وتبرز جانب التنافس الشريف في حفظه عالمياً.

5. توجيه وسائل الإعلام لإبراز أنشطة مراكز التحفيظ، وتحفيز الحفظة وتقديم الخطط والبرامج الميسرة للتحفيظ، وتوفير المادة الإعلامية المناسبة لهذا النشاط المميز في علاج الفراغ لدى الناشئة.

6. التنافس في ابتكار تطبيقات فنية للهواتف الذكية تساهم في تبسيط وتسهيل آلية التعليم والتلقين والتحفيظ، خاصة وأنها أصبحت من أولويات استخدام الناشئة، فلا بد من توجيهها لربط الأجيال الصاعدة بكتاب الله.

المراجع والمصادر

- أبو الأصبع، المعروف بابن الطحان، **نظام الأداء في الوقف والابتداء**، تحقيق: د علي حسين البواب، (الرياض، مكتبة المعارف، 1406هـ/1985م).
- البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، مراجعة وضبط وفهرسة: الشيخ محمد علي القطب، والشيخ هشام البخاري، (صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1424هـ/2004م).
- البُستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ/1988م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ/1996م).
- الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى، **الجامع الكبير**، تحقيق: د بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م).

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **كتاب التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ/1985م).
- ابن الجزري، الإمام الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، **التمهيد في علم التجويد**، تحقيق: د غانم قدوري الحمد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م).
- ابن الجزري، الإمام الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، **النشر في القراءات العشر**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1998م).
- الحاكم النيسابوري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1990م).
- الحصري، الشيخ محمود خليل، **معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء**، (القاهرة، مكتبة السنة، 1423هـ/2002م).
- ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، **الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط وإخوانه، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م).
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (حمص، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ودمشق، بيروت، دار اليمامة، ودمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط4، 1415هـ).
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1402هـ/1982م).
- السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار الجنان، دار إحياء التراث، ط1، 1409هـ/1988م).
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (صيدا ـ بيروت، المكتبة العصرية، 1429هـ/2008م).

- شكري، أ د أحمد خالد، وإخوانه، **المنير في أحكام التجويد**، (عمّان، لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط/19، 1432هـ/2011م).
- الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (العراق، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، العراق، ط2، 1404هـ/1983م).
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط2، 1407هـ/1987م).
- ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، **الفوائد**، تحقيق: محمد عزيز شمس، (جدة، مجمع الفقه الإسلامي، ط1، 1429هـ).
- ابن ماجه، الحافظ محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار الريان للتراث).
- المجيدي، أ د عبد السلام مقبل، **التلقّي النبوي للفظ القرآني**، (عمَّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط/1، 1438هـ/2017م).
- محيسن، د محمد سالم، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، (بيروت، دار الجيل، ط1، 1417هـ/1997م).
- المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي، **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، (المدينة المنورة، مكتبة طيبة، ط2).
- المَرْوَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج، **مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر**، اختصرها العلامة أحمد بن علي المقريزي، نشر: (حديث أكادمي، فيصل أباد، باكستان، ط1، 1408هـ/1988م).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط6، 2008م).
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، **القطع والائتناف**، تحقيق: د عبد الرحمن المطرودي، (الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1413هـ/1992م).

- النووي، الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، **التبيان في آداب حملة القرآن**، عني به: محمد شادي مصطفى عربش، (بيروت، دار المنهاج، ط4، 1439هـ/2018م).
- النيسابوري، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2001م).
- الهذلي، أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة، **كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله**، تحقيق: د عمار أمين الددو، (مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية، السنة الثانية والعشرون، العدد الرابع والثلاثون، 1429هـ/2008م).
- الهيثمي، الحافظ علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد**، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1967م).
- أبو الوفا، علي الله بن علي، **القول السديد في علم التجويد**، (المنصورة، دار الوفاء، ط3، 1424هـ/2003م).

هذا وبالله التوفيق

وصلَّى الله وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلِّم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين